

خصوصيات الحياة الجنسية للشباب المغربي في المرحلة الجامعية:

نحو تغير المعيارية الجنسية

سلمى بنسعيد

كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، المغرب

ملخص

أصبح يعيش المجتمع المغربي تغيرات سوسيو- ثقافية ويسعى إلى مواكبتها عبر إرساء أسس مجتمع ديمقراطي يساير نظام التحديث والحداثة، إلا أنه في ظل ذلك تواجهه مجموعة من العراقيل الموضوعية والذاتية. ولعل من بين هاته العراقيل التناقض الحاصل بين الواقع الجنسي الجديد الذي يعيشه الشباب المغربي ويتطلعون إلى تطويره، وأنماط التفكير والسلوك والفعل والممارسة الاجتماعية وما يرتبط بها من معايير ثقافية ومجتمعية لا تتطابق مع مستلزمات هذا الواقع الجديد بل تكبحه وتعرقله. حيث تعرف الجنسانية الشبابية المغربية خارج إطار الزواج اليوم تغيرا على مستوى الممارسات والسلوكات التي أصبحت تنزع نحو الاستقلالية والانفتاح والتحرر والتمايز الفردي. لكن على مستوى التمثلات، تظل العلاقات الجنسية قبل الزواج تواجه وضعا إشكاليا بالنظر للتقيد اللاواعي ببعض جوانب المعايير الدينية والثقافية والاجتماعية. ومن خلال هذه العناصر، يهدف هذا المقال إلى إبراز طبيعة الشروط الاجتماعية والثقافية المؤطرة لتحرر الجنسانية الشبابية لاسيما في المرحلة الجامعية، إضافة إلى محاولة فهم الكيفية التي أصبح ينفلت بها السلوك الجنسي الشبابي من المعيارية التقليدية المنظمة للجنس في المجتمع المغربي نحو معيارية جنسية جديدة متحررة نسبيا، أساسها التوليف والمواءمة.

الكلمات المفتاحية: الجامعة، الشباب المغربي، الحياة الجنسية، التحرر الجنسي، التغيرات السوسيو-جنسية.

مقدمة

يعيش المغرب منذ حصوله على الاستقلال تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية لوحظ أثرها البارز في أشكال الانتقال من أنماط عيش تقليدية محافظة في الغالب، إلى أنماط حديثة وتمدنة بنسب متفاوتة. لذلك يجوز توصيف هذه المرحلة بالمرحلة الانتقالية التي تتطوي على تداخل التقليدي والحديث على مستوى كل من العلاقات والقيم والسلوكات والممارسات الاجتماعية. فالتداخل بين ما هو محلي وما هو كوني على المستوى السوسيوثقافي

بالخصوص يزداد حدة كلما ارتبط بفئة الشباب بحكم خصائصهم وتطلعاتهم، وكذا تأهيلهم العلمي الذي يجعل منهم الفئة الأكثر تجاوبا مع هذه التغيرات وتأثرا بانعكاساتها.

لقد أفضى هذا الانتقال والتحول في أنماط العيش والحياة بالمجتمع المغربي إلى بروز مجموعة من السلوكيات الجنسية بقوة على المشهد المجتمعي وخاصة في الوسط الشبابي، والتي تنزع نحو الانفتاح والتحرر والاستقلالية بشكل علني في الوقت الذي كانت فيه سابقا خفية ومسكوت عنها. إن معظم السلوكيات الجنسية التي كانت شرعية وتتمأسس داخل مؤسسة الزواج، أصبحت اليوم تتم قبل الزواج باسم ثقافة الحب والعلاقات العاطفية وتأكيد الذات والحق في المتعة. كما أن العذرية التي كانت تعني الاحتفاظ بغشاء البكارة في مستواها البيولوجي مما يستلزم غياب كل تجربة جنسية قبل الزواج، غدت عذرية توافقية تتمظهر في ممارسة الفتاة جميع أشكال الجنس: فموي، شرجي، سطحي، مع الحفاظ على غشاء البكارة. وحتى إن قامت بعلاقة جنسية مهبلية اقتضت فقدان البكارة، فإنها تلجأ إلى ترميمها بإجراء طبي بسيط يطلق عليه "البكارة الاصطناعية". أضف إلى ذلك، أن الممارسات البغائية التي كانت سلفا تتم على الهامش أضحت اليوم عملا جنسيا شبه منظم على صعيد الواقع أو حتى افتراضيا.

لكن إن كانت هذه التحولات الجنسية أمرا واقعا في المجتمع المغربي، فإن ذلك لم يواكبه تحول في وعي وتصورات وتمثلات ومواقف الشباب بخصوص جنسائيتهم. إن وضع الجنسانية الشبابية خارج إطار الزواج اليوم في المجتمع المغربي هو وضع محير وإشكالي بالنظر لتموقعها بين منزلتين. فالممارسات الجنسية المتحررة للشباب المغربي قد تكون مفهومة إذا كانت تواكب اندراجه في النظام الحدائلي لكنها تصبح مثيرة للتساؤل والبحث والفضول العلمي في ظل تشبته وإيمانه بقديسية وسيادة القيم الدينية المحافظة والبنى الاجتماعية والمقدسات الثقافية التقليدية، واعتبارها بشكل غير واع معيارا منظما لجنسائيته قبل الزواج بالرغم من حداثة ممارساته الجنسية. مما يستدعي التساؤل عن الدوافع الكامنة وراء إقبال الشباب المغربي على ممارسة الجنس قبل الزواج بالمرحلة الجامعية بالخصوص، والاستفسار عن سبب ازدواجية جنسائيتهم في علاقة بانتظام تمثلاتهم للجنس قبل الزوجي.

أولا- الحياة الجنسية للشباب الجامعي المغربي، الخصائص والتجليات

يعد ولوج الجامعة دافعا أساسيا في إقدام الشباب المغربي على التفكير في الحصول على حياة جنسية نشطة. ولأجل فهم أسباب ذلك يمكن الرجوع إلى سمات المرحلة الانتقالية من التعليم الثانوي إلى التعليم الجامعي التي يعيشها الشباب، وتحليل ملامحها وتأثيرها على تمثلاتهم لجنسائيتهم. حيث غالبا ما يشهد المسار البيوغرافي الدراسي للشباب المغربي ما بين مرحلة التعليم الثانوي التأهيلي ومرحلة التعليم الجامعي منعطفات وتغيرات في طبيعة العلاقات الجندرية، وطرق التفكير، وسمات الشخصية ونمط العيش، الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على

سلوكهم الجنسي. وبالتالي، فإن اختيارات الشباب على الصعيد الجنسي في المرحلة الجامعية ما هو إلا نتاج طبيعي لخصوصيات حياتهم الجامعية. فالإي حد يستطيع كل شاب وشابة تكيف تمثلاته الجنسية وفق ما تقتضيه خصوصيات الحياة الجامعية؟

1- الحياة الجنسية كمكون من مكونات الحياة الجامعية للشباب المغربي

تتشكل بوادر الحياة الجنسية قبل الزوجية في مرحلة المراهقة وتبرز معالمها في مرحلة التعليم الثانوي التأهيلي بالخصوص، حيث يعيش الشباب تجارب عاطفية متعددة تشهد أشكالاً بسيطة من الممارسة الجنسية كتبادل القبل والعناق ولمس أعضاء معينة من جسم الشريك... إلخ. وهذا ما يؤكد طرح "تالكوت بارسونز" (Talcott Parsons) بخصوص فئة الشباب والتي يعتبرها كنوع من الممارسة الاجتماعية الأكثر ترميزاً للواقع الاجتماعي، والتي تظهر مؤشرات من خلال اللقاءات العاطفية التي تجمع بين الإناث والذكور، وتبادل أطراف الحديث، والتقبيل الجنسي، وطريقة خاصة في الجانب المظهري... إلخ. وفي هذا الجانب، يفسر الباحث المغربي "محمد الإدريسي" في دراسة ميدانية له حول الحياة الجنسية للمراهق أن "عملية التقرب من الجنس الآخر والمبادرة في طلب إنشاء علاقة عاطفية أو جنسية تنسم بالقصدية في سن المراهقة. فمحاولة التودد لإمكانية ربط علاقة صداقة حميمية يسعى من خلالها المراهق إلى تحقيق هدف الاتصال الجنسي ولو بمنظوره السطحي (قبلات، مداعبات... إلخ) (الإدريسي، 2014، صفحة 229). كما يستطرد مشيراً إلى أن "العلاقة بين المراهقين من كلا الجنسين لها هدف ذو طبيعة جنسية إلا أن الهدف قد تختلف درجاته، فليس الغرض هو إقامة علاقة جنسية كاملة، بل في أغلب الأحيان ممارسات جنسية سطحية (تبادل القبل) التي أصبحت أمراً عادياً بين المراهقين (الإدريسي، 2014، صفحة 230).

غير أن شكل الممارسات الجنسية قد يتطور بشكل أكبر ويتحرر أكثر جراء المرور إلى مرحلة التعليم الجامعي، حيث أن الانخراط في التعليم الجامعي يمكن الشباب من تحقيق الاستقلالية الذاتية والتخلص من رقابة الأسرة والأهل بالخصوص، إذ "يتميز الشباب بالتكوين الجامعي بالرومانسية والمثالية المطلقة، كما تغلب عليه نزعة الاستقلالية وتأكيد الذات، فهو يحاول أن يكون له رأيه الخاص وموقفه المتميز في كل قضية ويحاول التخلص من كافة ألوان الضغوط المتسلطة عليه لتأكيد التعبير عن الذات والرغبة في التحرر" (حسن منير، 2008، الصفحات 250-251). وبذلك يمكن القول أن الحياة الجامعية تيسر للشباب التحرر والانعقاد عن ضبط العائلة والانفتاح والرغبة في الحصول على حياة جنسية "مفعلة" على أرض الواقع وليس فقط متمثلة ذهنياً.

إن تحليل أبعاد ومكونات العلاقة بين الحياة الجنسية والحياة الجامعية للشباب المغربي، تظهر أن تغيير المدينة والانتقال من مدن مغربية محلية جانبية صغرى إلى مدن تشكل مراكز حضرية كبرى قصد الولوج للجامعة أو سعياً لاختيارات وتخصصات أكاديمية غير متواجدة بمقر الإقامة الأصلية، وما يرتبط بذلك من استقلال سكني من خلال تجربة السكن الجماعي مع الأصدقاء أو الحي الجامعي والذي يمكن الشباب من الانفلات من قبضة الأسرة ورقابتها لسلوكياتهم، وكذا الاستقلال المادي وما يتيح لهم -خاصة الذكور- من إمكانية ولوج أماكن بها عرض جنسي متاح للاستهلاك اللحظي كدور العمل الجنسي أو الحانات أو الملاهي الليلية... إلخ. زيادة على ذلك، فإن النضج المعرفي والتطور الفكري الذي يتيح التكوين الجامعي للكثير من الشباب، والذي له دور مركزي في تغيير ملامح شخصياتهم وأسلوب تفكيرهم وتصوراتهم لقضايا مجتمعية مختلفة بما فيها الجنس، هي كلها عوامل أساسية تساهم في إقبال الشباب من كلا الجنسين على تأثيث حياته الجنسية وتفعيلها.

2- الجامعة كتنظيم اجتماعي- جنسي متحضر

من الممكن تحليل تحولات السمات المميزة للحياة الجنسية للشباب في المرحلة الجامعية انطلاقاً من سيرورة التحضر التي يخضع لها الشباب من خلال انتقالهم إلى مدن "المركز" لإتمام دراستهم الجامعية وانعكاسات ذلك على تمثلاتهم وممارساتهم الاجتماعية. إن انتساب الشباب للمؤسسة الجامعية يعني انتماءهم لتنظيم اجتماعي "متحضر" (urbanisée) مما يفضي إلى خلق بيئة هي بدورها "متحضرة" تفرض جذبا قويا لهم نظراً لمزاياها على المستوى العلائقي. ويورد "كازميرز صووا" (Kazimierz SOWA) في هذا السياق مايلي: "من الممكن تحليل سيرورة التحضر انطلاقاً من تحولات السمات المميزة للبيئة الاجتماعية للفرد الذي يعيش في مجموعة ما. إن سلسلة هذه التحولات تحدد متصلاً يربطه بالمجموعة المتحضرة التي ينتمي إليها. وهذه السلسلة من التحولات تفضي إلى خلق بيئة متحضرة تتجلى بشكل قوي في مجموعات المدن الكبرى" (المالكي، 2015، صفحة 25). فالنظام الاجتماعي المعيشي للجامعة هو نظام مفتوح يقوم على الاختلاط بين الجنسين والاحتكاك اليومي بينهما مما يؤدي إلى ربط شبكة من التعارف والصدقات بشكل مكثف بين الشباب الذكور والإناث، والتي يمكن أن تتحول وتتطور إلى علاقات عاطفية تستلزم الجنس كتفعيل للمشاعر التي يمنحها لهم هذا النوع من العلاقات.

وما يلاحظ في هذا الإطار بالنسبة للشباب الجامعي أن علاقاته بوسط الجامعة تزداد اتساعاً باستمرار على حساب العلاقات الأولية والتي رغم أهميتها في حياتهم ودورها في تنشئتهم فإنها مع مرور الأيام تتجه نحو التقلص والانحسار. وتبعاً لذلك، يتم الاندماج التدريجي للشباب بالوسط الجامعي أساساً عن طريق العلاقات الثانوية التي يتمكن من الانخراط فيها أو خلقها، لأن العلاقات الأولية يمكن أن تتشكل من علاقات موضوعية "معطاة" تتكون

أساسا من أفراد الأسرة. بينما العلاقات الثانوية تتأسس انطلاقا من علاقات ذاتية "مختارة" تتكون من الأصدقاء أي زملاء العمل أو أصدقاء الجمعيات أو الأحزاب" (المالكي، 2015، صفحة 26). وذلك ما يطرح مشكلة السلطة الأبوية داخل الأسرة، حيث أن السلطة المطلقة التي كان الوالدين يتمتعان بها في مرحلة مراهقة أبنائهم، تتقلص وتتلاشى تدريجيا إثر انتقالهم للتعليم الجامعي. مما يؤدي إلى ضعف سلطة الوالدين، ومن ثم اختفاء التصورات التقليدية المحافظة للجنس. ويقول السوسيولوجي المغربي "إبراهيم الحمداوي" ارتباطا بهذا المعطى ما يلي: "إن أهم الخصائص التي تجذب الفرد إلى الحضرية هو الإبهام واللاشخصية والتحرر من الرقابة ومن السلطة التقليدية وممارسة الحياة بحرية. وعندما ينعدم شعور الفرد بالمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية أو القانونية اتجاه الآخرين ينحصر اهتمامه عندئذ فيما يمكن أن يفعله دون التعرض للعقوبة. يمثل فقدان الرقابة والضوابط الداخلية هذا أحد أهم العوامل للمرور" (حمداوي ، صفحة 74).

ومن جهة أخرى، يستدعي الانخراط في الجامعة كبيئة اجتماعية حضرية من الشباب الانخراط في ثقافة جديدة وفي نمط مختلف من العلاقات الاجتماعية، نمط تمتد فيه وتتسع العلاقات الثانوية التي تتم خارج دائرة الأسرة، وعلى حساب العلاقات الأولية التي تتم داخلها. ولا يكون هذا الانخراط تاما، ولا يعني لا إلغاء ولا نفي العلاقات الأولية وإنما يعني تقليصها لأن الحياة الجامعية تفرض ذلك وتجعل الشباب نفسه يوميا أمام علاقات جديدة وفي مواجهة اختيارات ومعلومات جديدة. وهذا تحديا ما يمثل جوهر عملية التحضر من الناحية الاجتماعية. فإذا كانت العلاقات الأولية للشباب الجامعي تتجه به نحو الثبات والجمود، فإن علاقاته الثانوية المتجددة في الوسط الجامعي تتجه به نحو النمو والتفتح.

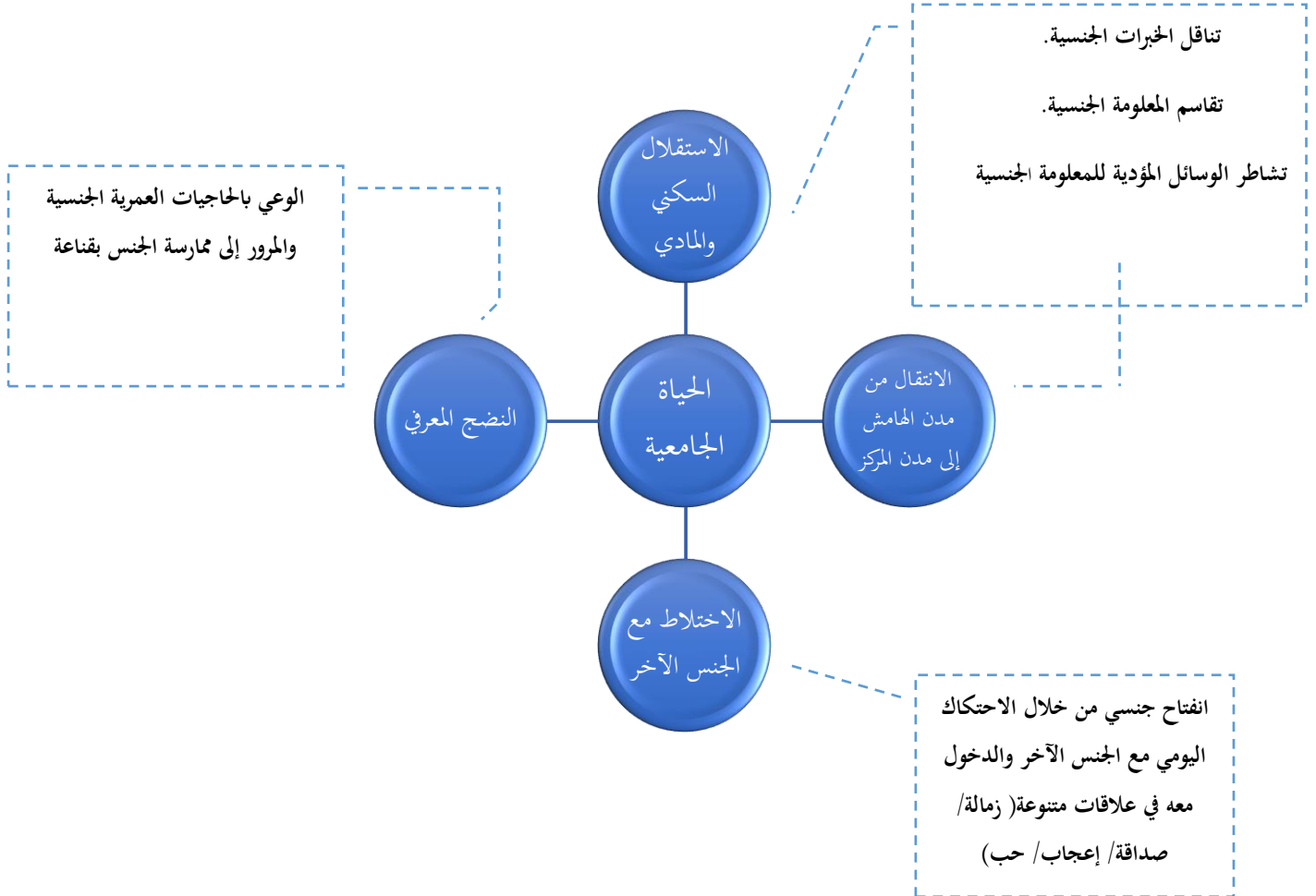
ففي البيئة الاجتماعية للجامعة، تظهر العلاقات الممتدة في الزمن نسبيا والعلاقات العابرة أيضا أو تلك التي لا تتكرر مما يؤدي إلى ذوبان الثقافة المحلية التقليدية التي تحول بين الشباب وبين الجنس، مقابل اندماجه في الثقافة الحضرية الجامعية حيث يكتسب تصورات وطرقا جديدة في الحياة تغلب عليها الفردية وقيم الانتماء والاستقلالية والتحرر والتي قد يكون لها تأثير كبير على سلوكه الجنسي. وهذا ما يؤكد السوسيولوجي إبراهيم حمداوي بقوله: "يمكن القول بأن الإنسان في المدينة، الحضري يجد نفسه أمام طريقة جديدة للحياة تختلف عن طريقة العيش الموجودة في المناطق التي قدم منها" (حمداوي ، صفحة 72). ومن ناحية أخرى، فإن التأثير بالثقافة الحضرية للوسط الجامعي يسفر عن ضعف واختفاء رقابة نظام الأسرة ويؤدي إلى تغير في القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في ظل النظام الأسري لأن التحول من مجتمع تقليدي يؤدي بالنظم التقليدية إلى فسخ المجال لأفكار جديدة من التنظيم الاجتماعي والسلوك والسلطة (حمداوي ، صفحة 73). فقد ينجم عن انتقال الشباب من الأنماط التقليدية، المميزة لمؤسسات تنشئية مختلفة وعلى رأسها الأسرة، إلى الأنماط الحضرية بالوسط الجامعي كسر

الحاجز الذي كان يحول بينهم وبين الجنس. ففي ظل البيئة التقليدية حيث العلاقات شخصية الطابع ولا تجد سيلا إلى الجنس، يجد الشباب بالبيئة الجامعية المتحضرة فرصة للتودد والتقرب من الجنس الآخر والإقبال على ربط علاقات جنسية معه.

وهكذا، يمكن القول أن الشباب المغربي بالجامعة يجد نفسه أمام طريقة جديدة للحياة تختلف عن طريقة العيش الموجودة في المناطق التي قدم منها، حيث تتميز الحياة الجديدة بنزعة فردية تقوم على الميل إلى القيم المادية والمنفعة الذاتية وضعف رقابة السلوك والتحرر المتزايد من الضوابط الاجتماعية الرسمية. غير أنه أمام الوضعية اللامعيارية لنمط الحياة الشبابي الجديد، قد يجد الشاب الجامعي نفسه ممزقا بين القيم القديمة التي نشأ معها والوضعية الجديدة التي يتعامل معها. وكنتيجة حتمية لذلك، يسقط في الصراع الحاد بين سلوكه الجنسي والمعايير المنظمة له، مما يتسبب له في حالة اغتراب وارتباك ونفور ونبذ قوي أحيانا لبعض القيم لاسيما إذا كان التغيير يتم بشكل سريع ولا يتيح سوى قليلا من الوقت للتكيف مع التغيير.

وبناء على ما سبق، يمكن القول على أن المرحلة الجامعية هي عنصر مؤسس لدينامية الحياة الجنسية الشبابية. فالانتقال إلى التعليم الجامعي يزامن انفصال عن القيم المحلية التقليدية واستندماج لقيم أجنبية حضرية وافدة، تنعكس على تمثلات الشباب للجنس، ومن ثم توجه سلوكياتهم الجنسية نحو الانفتاح والتحرر. إن خصوصيات الحياة الجامعية على المستوى المؤسسي والعائلي والإيديولوجي والتنظيمي تلعب دورا محوريا في تنشيط الحياة الجنسية الشبابية بمرحلة التعليم الجامعي ارتباطا بثلاث مستويات: يتجلى المستوى الأول في التثقيف الجنسي وذلك من خلال تناقل الخبرات الجنسية وتقاسم المعلومة الجنسية أو نشاطر الوسائط المؤدية إليها. أما الثاني فيتجسد في الانفتاح الجنسي الذي يظهر من خلال الاحتكاك اليومي والمباشر مع الجنس الآخر والدخول معه في علاقات متنوعة (صداقة/ زمالة/ إعجاب/ حب...إلخ). بينما يتمثل الثالث في التفعيل أو التطبيق الجنسي الذي يتوضح في إقبال الشباب على ممارسة الجنس بقناعة منهم وذلك وعيا منهم بحاجياتهم العمرية الجنسية.

دور خصائص الحياة الجامعية في الانفتاح الجنسي للشباب



وهكذا يمكن استخلاص أن الحياة الجنسية للشباب الجامعي لا تعرف ركودا وإنما تتصف بالنشاط والدينامية. بيد أنه إلى جانب ذلك، فإن الحياة الجنسية للشباب بكل ما تحتويه من تجارب جنسية متباينة من حيث الشكل والوتيرة والسياق، ليست بحياة جنسية فعلية بل لا يصلح أن تسمى حياة جنسية في الأصل، لأنها خالية من الشغف والمتعة المطلقة بسبب الخوف الدائم من وصم المجتمع والاعتقال القانوني والعقاب الديني المصاحب لكل تجربة جنسية يخوضها الشباب المغربي. الأمر الذي يولد في نفوسهم عدم الرضى عن تلبية رغباتهم الجنسية والاستجابة لنوعية "الفونطازمات" التي تشغل أذهانهم. ويعلل عزت حجازي هذه الفكرة بقوله أنه "وبالنظر للإلحاح الشديد للجنس والحاجة إلى الحب، يعيش الشباب أزمة طاحنة موزعين بين إلحاح عواطف يرونها بريئة قوية وتخويف يصل إلى حد رهيب وبسبب هذه الألغاز الذي تحاط بها أمور الجنس في المجتمعات العربية، تجهض محاولات

الشباب حتى لفهم ما يجري في كيانهم ومن حولهم وإعداد أنفسهم لممارسة أدوار الراشدين في هذا المجال بوعي وفهم ومسؤولية واختيار" (حجازي ، 1990، صفحة 87).

فعلى الرغم من أن الشباب الجامعي بالمجتمع المغربي يعيش تجارب جنسية خارج إطار الزواج إلا أنه يصعب عليه أن يحظى بحياة جنسية قائمة بذاتها أو التعبير عن حقه في ذلك نظرا لحرصه وهوسه العصابي المستمر على احترام سلطة المجتمع وعدم المس بأوامره. وهذا تحديدا ما تذهب إليه "نور هان حسن" في كتابها "القيم الاجتماعية والشباب" إذ تقول: "ويعاني الطالب الجامعي أيضا من صراعات نفسية متباينة مثل الصراع بين الحاجة إلى الإشباع الجنسي وبين التقاليد الدينية والاجتماعية وصراع القيم وبين ما يعتنقه الشباب من مبادئ وقيم. فعندما يدخل الطالب الجامعة يجد أمورا لم يجدها ولم يشاهدها من قبل، فيحدث له صراع نفسي بين ما يؤمن به وما يعتنقه وبين ما يمارسه الآخرون من حوله" (حسن منير ، 2008، صفحة 257). وبذلك تعد أغلب التجارب الجنسية قبل الزواج للشباب بالمرحلة الجامعية مجرد ترميق جنسي يمكنهم من تفريغ لحظي وتنفيس مناسباتي للمكبوتات الجنسية، ويخفف من حدة الضغط الجنسي التي تفرضها الخصوصية النمائية العمرية التي هم بصدددها. لذلك فدوما هناك استحضار لاستراتيجيات التوليف والترمييق في تدبير الفعل والأداء الجنسي بأوساط الشباب بالمرحلة الجامعية.

ثانيا- الحياة الجنسية للشباب الجامعي المغربي خارج إطار الزواج، بين الإقبال والامتناع

يعيش الشباب المغربي بالمرحلة الجامعية تجارب جنسية حميمية خارج مؤسسة الزواج سواء في الاتجاه الغيري أو الذاتي(العادة السرية)، إذ أن لكل جنس على حدى نمط معين وخاص به في ممارسة الجنس قبل الزوجي. وهنا يتوجب الإشارة إلى أن الممارسات الجنسية خارج إطار الزواج بصفوف الشباب الجامعي المغربي تنقسم إلى ثلاث ممارسات رئيسية وهي كالتالي:

- ممارسات جنسية كلية.
- ممارسات جنسية سطحية توليفية.
- ممارسات جنسية بديلة(العادة السرية، الجنس الإلكتروني، استعمال المجسمات الجنسية...إلخ).

وبذلك يمكننا أن نتساءل عن الأسباب التي توجه الشباب إلى كل نوع من الممارسات الجنسية السالفة الذكر. وهذا ما سنحلله في الفقرات الآتية.

1- نحو اكتشاف الجنس ومحاولة إثبات الفحولة

يقبل الشباب الجامعي المغربي على الجنس خارج إطار الزواج بشكل كلي استنادا على دافعين رئيسيين، يتمثل أولهما في التجريب والمغامرة بهدف تقييم اشتغال الأعضاء التناسلية المتمثلة أساسا في "القضيب" وصقل المهارات الجنسية الذكورية، حيث أنه من الضروري أن يمارس الشاب الذكر الجنس قبل الزواج ليتأكد من سلامة وقوة قدراته الجنسية ويؤكد بها بالوسط الاجتماعي الرجالي الذي ينتمي إليه. بينما يتجلى الدافع الثاني في عنصر التقليد الذي ينقسم إلى نوعين: تقليد الأصدقاء والدخول في تنافس جنسي مع بعضهم البعض لإثبات ذكورتهم واستعراضها أمام بعضهم البعض، أو تقليد مرتبط بعملية التأثر بنمط عيش ثقافات غربية معاصرة على المستوى الجنسي.

وفي هذا الصدد، تحمل الرجولة كمفهوم لدى الشباب المغربي مجموعة من الطباع والسلوكات التي يكتسبها الفرد بصفته ذكرا من خلال تنشئته المجتمعية، وهذا ما يسمى باكتساب الهوية الذكورية التي عبرها يتعلم الشاب الذكر ما معنى أن يكون رجلا، والكيفية التي من خلالها يمكن أن يكتسب هذه السمة مجتمعا. وانطلاقا من ذلك يستدمج الذكر قيم الرجولة ويتصرف وفقها في محيطه. وبالتالي، الرجولة هي معطى اجتماعي يتحول إلى عنصر أساسي في تكوين الهوية الجنسية للشباب الذكر المغربي. وتبعاً لذلك، يربط الشباب الذكور الرجولة بمفهوم الفحولة (Virilité) والتي تعد كلمة مشتقة من الفحل، وهو الذكر من كل حيوان الذي يتمتع بالقوة والسلطة والسيطرة والشدة.

وترمز الفحولة بتصور الشباب المغربي إلى المميزات الفيزيولوجية للذكر البالغ، بالمعنى البيولوجي. فتكون بالنسبة لهم، من ناحية، مرادفة للبلوغ (Puberté) وللنضج الجنسي، حيث يكتسب الشاب الذكر القوة والقدرة على التناسل الجنسي، والتي يحددها الباحث السيكولوجي "بيير داکو" (Pierre Daco) في الرغبة الجنسية، والقدرة على الانتصاب والإيلاج، ثم القدرة على إتمام الفعل الجنسي وتحقيق اللذة المشتركة لكلا طرفي العلاقة الجنسية. ومن ناحية أخرى، ترتبط الفحولة في اعتقاد الشباب المغربي بالتفوق الذكوري اجتماعيا والذي يتحقق من خلال الجسد لينعكس على باقي مظهرات وحركات ونشاطات الشباب بما فيها النشاط الجنسي.

ويرتبط التفوق الذكوري على مستوى الجسد بعضو "القضيب" الذي يقترن بشكل مباشر بالفعل الجنسي. فهو العضو المسؤول عن الاختراق والافتضاض وأيضا الخصوبة مما يجعله رمزا للفحولة والقوة والتواجد. ففي الوسط الشبابي المغربي يعامل القضيب كأبرز الخصائص الرجولية، ويتم التعامل معه كسلاح إذ تأخذ الرجولة ذاتها بعدا عنيفا، حينما يتم التعامل مع العضو التناسلي الذكري كسلاح (أعراب ، 2015). وهو تحديدا ما نجده

في خطابات الثقافة الشعبية حيث يتم التفاخر بالأعضاء التناسلية الذكورية القوية والكبيرة. وتنشد كل طقوس تأسيس الرجولة ومأسستها مجتمعيا على ضرورة كبت كل ما هو أنثوي في الرجل وقمعه. وبالتالي ينتج عن ذلك هوس بالفحولة، وهو الهوس الذي ينتهي إلى عدم اعتبار القضيب منطقة لذية فقط وإنما أداة لتحقيق إنجازات وسيطرات وبطولات اجتماعية. وهكذا يصبح القضيب الجانب الهش في كينونة الشاب الرجل، إذ تحدث إصابته بارتباك أو خلل جنسي سببا لانهايار شخصية الشاب الرجل بكاملها وبذلك لا تتحقق الرجولة إلا باحترام تحقيق التفوق الجنسي. إن الفحولة بهذا المعنى هي عملية إثبات أمام الآخرين، لذلك فهي تستوجب اعتراف الآخرين ومصادقة النظام الاجتماعي عليها ومباركة الثقافة لها مما يؤكد حضور القضيب كفعالية مركزية لخدمة الذكورة على أرض الواقع ومدخل لضمان حياة جنسية ناجحة (Benslama & Tazi, 2004).

ويستفاد مما سبق أن الشباب المغربي الذكور على وجه الخصوص يثبتون أدوارهم ووظائفهم الرجولية الاجتماعية عبر امتحان قوة فحولتهم على اعتبار أن هذه القوة هي التي تحقق لهم الاعتراف المجتمعي بجنوستهم الذكورية وتؤكد وجودها. وهذا يتطلب منهم إقامة علاقات جنسية يحاولون من خلالها تقييم مستوى فحولتهم الجنسية أولا وتدريب قدراتهم الجسدية على الأداء الجنسي الأفضل لكي يتمكنوا من استحقاق شرف حمل وسم "رجل" خاصة في مجتمع كالمجتمع المغربي الذي يفيد بين الرجولة والأنوثة ويفهمهما في قالب محددة يضعها المجتمع بنفسه. ويثبت ذلك "بيير بورديو" بقوله "إن السيرورات الثقافية لمجتمعات البحر الأبيض المتوسط تعتمد على معطيات بيولوجية وبالتالي فالبناء الاجتماعي يصبح قادرا على التمييز بين الذكر والأنثى وإعطاء كل جنس قالبا ووظيفة اجتماعية وفق المعطى والخصوصية البيولوجية (Bourdieu, 1998, pp. 20-21).

ومن أجل فهم هذا الوضع السائد في أوساط الشباب الذكور، لابد من تفكيك السيرورات الثقافية والاجتماعية التي تفرض هذا التفوق الذكوري وتروج له. إن السيرورات الثقافية للمجتمع المغربي تعتمد بشكل كلي على المعطيات البيولوجية، وبالتالي فالبناء الاجتماعي يصبح قادرا على تقييم الجنس الذكري والاعتراف به وإعطائه قالبا ووظيفة اجتماعية انطلاقا من معطياته البيولوجية الجنسية (Bourdieu, 1998, pp. 20-21). فالمجتمع هو من ينتج الرجل ويرسم له مسار هويته الذكورية ويضع له داخل هذا المسار مجموعة من المباحات والممنوعات، وينتظر منه في المقابل مجموعة من السلوكات والاتجاهات. وبالتالي فالرجال عليهم الامتياز بالفحولة والمنافسة والصراع من أجل إثبات الذات والرجولة وانتزاع الاعتراف بها (Bourdieu, 1998, p. 89). وللفحولة مفهوم شعبي كذلك يركز على الاستحقاقات دون الحقوق حيث أن الشاب الذكر يخضع نفسه لامتحانات نيل لقب الرجولة ليحقق هذا اللقب ولعل ربط علاقات جنسية خارج إطار الزواج وبشكل كلي لهو دليل على ذلك.

إن إقبال الشباب الذكور بالمجتمع المغربي على ممارسة الجنس الكلي يتعدى غرض تحقيق الرغبة الجنسية ليدل بالنسبة إليهم على قدرتهم في السيطرة والهيمنة على العملية الجنسية ككل. وهذا يتماشى مع ما جاء في أبحاث بورديو بخصوص الهيمنة الذكورية حيث يقول " ومن خلال قيام النظام الاجتماعي على التفوق الذكوري، فإنه يجعل من الرجل مركز كل الأشياء وينظر له نظرة مركزية لأدواره البيولوجية ومن ثم الاجتماعية مما ينسب أي نشاط جنسي إيجابي للذكر (Bourdieu, 1998, pp. 101-103). إن تنظيم وممارسة الحياة الجنسية، يتم في رأي بورديو وفق تصنيف مجنس لأداءات وأدوار كلا الجنسين جنسيا. وبالتالي، فالعلاقات الجنسية وغيرها من العلاقات الاجتماعية بين الذكر والأنثى هي علاقات هيمنية، يحتل فيها الذكر مكانة المهيمن بينما تحتل فيها المرأة مكانة المهيمن عليها (Bourdieu, 1998, p. 102).

وبناء على ما سبق، يظهر أن الجسد الذكري يخضع لنوع من الترويض الاجتماعي ليكتسب في آخر المطاف هوية جنسية ذكرية معينة ومحددة مجتمعا. غير أن هذا الترويض الاجتماعي يتحقق من خلال التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الذكر كما يذهب لذلك بورديو في كتاباته بخصوص الجسد مشيرا إلى أن " الجسد هو أولا بناء اجتماعي مبني جراء سيرورات التنشئة الاجتماعية، وثانيا هو بناء اجتماعي مهيكّل أي أنه يهيكّل ويوجه السلوكات والنشاطات الجنسية لكلا الجنسين" (Bourdieu, 1998, p. 81).

2- قيمة العذرية: تضارب بين تقديس الطابو ونزعة التحرر الجنسي

إن اكتفاء بعض الشباب الجامعي المغربي بممارسة الجنس السطحي قبل الزواج ليس وراءه موانع بقدر ما هي عوائق تقف أولا أمام رغبته في ممارسة الجنس بشكل كلي، وثانيا أمام نزعته في البوح بعلاقاتها الجنسية والإفصاح عنها. ويتجلى السبب الرئيسي وراء اختيارهم ممارسة الجنس غير الكلي في الخوف من فقدان البكارة. وهذا الامتناع ينتشر بكثرة في صفوف الشبابات الجامعيات بسبب التخويف الوالدي لهن من الحمل خارج مؤسسة الزواج والضغط المجتمعي عليهن من فقدان البكارة وتفكيرهن في ردة فعل الزوج المستقبلي في حالة ما إذا وجدهن غير عذراوات. ولذلك يفضلن القيام بعلاقة جنسية كاملة قبل الزواج مع الشخص الذي من المتوقع أن يكون شريك الحياة بمؤسسة الزواج فيما بعد. وهذا ما يدل على أن الإناث يحافظن على عذريتهن اعتقادا منهن أنها ملك للرجل الزوج- المستقبلي. فكيف يمكن تفسير ذلك؟

تنتمي عذرية الفتاة في المجتمع المغربي إلى مجال القيم أكثر من انتمائها إلى المجال البيولوجي، حيث تختزل قيمة المرأة وحياتها الجنسية والأسرية في غشاء البكارة، وتذوب هويتها في طقوس المحافظة على هذا الغشاء وصيانتها. تتجاوز قيمة غشاء البكارة الدور والوظيفة البيولوجية كأى عضو من أعضاء جسم الإنسان، لتشمل قيم

العفة والشرف والكرامة وكل ما يرتبط بالعادات والقيم الاجتماعية. فيتحول هذا الغشاء من عضو بيولوجي خاص بالمرأة لها الحق أن تفعل فيه ما تشاء بحكم ملكيته الفردية إلى شأن عام يهم الأسرة والمجتمع، يتحكمان من خلاله في الحياة الجنسية للمرأة قبل الزواج. حيث أن العذرية أو التقييد في العلاقات الجنسية قبل الزواج، إنما هي وسيلة تستخدمها الأسرة لتتحكم بشكل أفضل في اختيارها عند الزواج، لأن فقدان العذرية قد يقلل من الفرص الجيدة لزواج الأنثى (حسين محمد ، 2010 ، صفحة 84). وبذلك، تعتبر عذرية الفتاة مصدرا أساسيا ومحددا لشرف الأسرة والمجتمع، والذي يرجع قرار الكشف عنه أو التستر عليه للرجل باعتباره طرفا مسؤولا عن افتضاض البكارة. وترد هذه الفكرة فيما يذهب إليه الباحث المغربي الخمار العلمي إذ يقول: "بيدو الأمر وكأننا ننظر للفتاة والمرأة بشكل عام باعتبار عذريتها مصدر شرف الأسرة والمجتمع، في حين يظل الزوج مغيبا عن هذه الظاهرة بالرغم من أنه طرف مشارك في افتضاض البكارة، بحيث لا يكون موضع تساؤل من طرف القيم المجتمعية وإليه يرجع قرار الكشف أو التستر" (الخمار ، 2018 ، صفحة 35).

وهكذا، نستشف أن الشباب الجامعي المغربي يتمثل البكارة وفق بعدين مهمين أولهما البعد الجنسي النفسي والذي يكمن في الجاذبية الجنسية والنفسية التي تتميز بها التجربة الجنسية الأولى بعد الزواج "ليلة الدخلة"، حيث يرتبط فعل افتضاض البكارة بفترة اللذة والانتصاب الكلي والتملك اللاشعوري لجسد الشريك الجنسي وما يرتبط به من راحة نفسية واعتزاز وتقدير للذات. وجدير بالذكر، أن افتضاض البكارة في المعنى الأنثروبولوجي وفي المتخيل الشعبي المغربي دليل على المكانة الذكورية للرجل، فالرجل يوظفه للسيطرة على المرأة باعتباره سببا في إحداث جرح أبدي في جسمها. ويقول السوسولوجي المغربي عبد الصمد الديالمي في هذا الصدد: "تحدد البكارة الشريك الأول بالنسبة للمرأة، فهذا الطرح البطريكي يرى أن الشريك الأول الذي يفتض الفتاة يوقع على جسدها بذكره بشكل دائم لا رجعة فيه، فذلك الافتضاض التوقيع هو امتلاك نهائي ودائم لها...لذا فكل رجل يريد أن يكون هو الأول لكي يظل مسجلا في ذاكرة المرأة البيولوجية ولكي لا يقارن بشركاء جنسيين سبقوه" (الديالمي ، 2015 ، صفحة 59). وذلك ما يمكنه من مرتبة في سلم الشرف المجتمعي بمحيطه. أما بالنسبة للمرأة، فإنها تستلهم قوتها وتثبتها أمام الرجل وتراهن على النجاح بمؤسسة الزواج من خلال غشاء بكارتها حيث تعتبره رأسمال جسدي تستثمره في احتلال مكانة داخل العائلة، والتمتع بقيمة إيجابية بالمؤسسة الزوجية. فعند البعض يكون مطلب البكارة وأسبقية افتضاضها أمرا واجبا وضروريا ومعيارا للطهارة والعفة والخلو من الدنس والرذيلة، كما أن للأنثى تصورا خاصا بها عن ذاتها، إذ المرأة الفاضلة هي التي لا تعبر أدنى اهتمام للجنس وتحافظ بالتالي على بكارتها كهدية لزوجها باعتبار ذلك واجبا أخلاقيا (الهروي ، 2013 ، صفحة 110).

بينما يتجلى البعد الثاني في البعد الرمزي المتمثل في قدرة الفتاة على مواجهة دوافع اللذة ومتع الفعل الجنسي واحتفاظها بطاقة المقاومة على السقوط في الإباحية الجنسية. وبالتالي عدم المساس بالبركة هو رمز لقيمة العفة والشرف باعتبارهما العمود الفقري لباقي القيم الأخلاقية التي يجب أن تتحلى بها المرأة. إن مفهوم العفة والشرف كقيمة اجتماعية يحتمل معنيين وهما: الأول يتعلق بمقتضيات القيمة والذي يتبدى في التزام المرأة بمجموعة من قواعد وآداب السلوك الجنسي والتي من خلالها تتم المحافظة على هذه القيمة. بينما يتمثل المعنى الثاني في جانب فيزيقي حيث تضبط المرأة شهواتها بالحفاظ على عذريتها حتى الزواج والاستمرار في صون عرضها بعد الزواج (عبد الحميد محمد ، 1998).

كما أن ثمة أبعاداً دينية وثقافية وقانونية لقيمة العفة والشرف، تتضافر معاً لتعمل على حمايتها وإعلانها. فمن الناحية الدينية، تعد قيمة العفة والشرف دعامة أساسية في النسق الديني الإسلامي خاصة وأن القيمة كانت تحتل مكانة عليا في الجاهلية أي إلى حد إباحتها قتل الأطفال الإناث خشية إلحاق العار بأهلهم، إلى أن جاء الإسلام وحرّم ذلك، ووضع ضوابط صارمة لحماية القيمة وفرض عقوبات ثابتة على من يهدرها سواء كان رجلاً أو امرأة، كما أوضح بعض مقتضيات القيمة للحفاظ عليها (حسين محمد ، 2010، صفحة 71). ولذلك، فإن اقتضاض الفتاة البكر منصوص عليه بالاسم في عقد النكاح بالمجتمع المغربي، علماً أن البركة في المجتمعات المغربية التقليدية العرفية هي دلالة على الكرامة والتبصر والالتزام بحق الله وحدوده وحكمه وشرعه، فإنها شرط واجب عقداً في الزواج وأمر مفروض شرعاً على المرأة مثبتاً، فعلاً وممارسة، بالحجة والبرهان ليلة الدخلة (الهروي ، 2013، صفحة 110).

كما أن النسق الثقافي مدعم لما يرد في النسق الديني فيما يخص قيمة العفة والشرف المرتبطين بالبركة، وذلك بتضمنه للمعايير والقيم الأخلاقية التي تحدد مكانة المرأة في المجتمع وما يرتبط بها من قيمة العفة والشرف، حيث تضرب بجذورها في التراث الثقافي المغربي الذي يحمل في طياته العديد من المضامين الثقافية التي تعمل على إعلاء هذه القيمة واستمرارها، على اعتبار أن الثقافة تفرز رموزاً وميكانيزمات تحيط بالقيمة بسياج من المحرمات من أجل الامتثال بها، حيث ترتبط القيمة غالباً بالجانب الفيزيقي المرتبط بدوره بالأنثى، والمتمثل في غشاء البكارة" (حسين محمد ، 2010، صفحة 71).

ويحفل التراث الثقافي المغربي بالعديد من العادات والتقاليد التي تعمل على الحفاظ على قيمة العرض والشرف والإعلاء من شأنها وهذا ما توسعت فيه الباحثة "سمية نعمان جسوس" في دراسة معروفة لها بخصوصية الجنسانية

النسائية في المغرب¹ والتي حددت دلالة العذرية بالمرجعية الثقافية المغربية حيث أكدت أن دلالتها تتمثل أساسا في غشاء البكارة أي الغشاء الذي يحجب فتحة المهبل أكثر مما هي حالة من الطهر الجسدي. ويرتكز بذلك صون العذرية على صون القطعة الجلدية التناسلية الجسمية المتواجدة بفتحة المهبل والتي يجب أن تسيل دما لحظة الافتضاض عند الزواج.

وتأسيسا على دلالات العذرية بالمرجعية الثقافية المغربية، يعيش الكثير من الشبابات المغربيات تجارب جنسية بمختلف الأشكال والأنواع لكن شريطة أن لا يتم افتضاض بكارتهن، حيث يسمح لأنفسهن بممارسة جنس فموي أو شرجي أو سطحي دون السماح بعملية الإيلاج والمساس بغشاء المهبل. وبالتالي تظل الشابة منهن عذراء بكرا بالمفهوم المجتمعي وتزعم الكشف الطبي القبلي على سلامة غشاء بكارتهن عند إقبالها على الزواج، وذلك للحصول على شهادة عذرية كإثبات طبي موثوق فيه بأنها لم يسبق لها أن مارست الجنس بشكل عملي أو تعرض مدخل مهبلها لمحاولة الإيلاج، لتقدمه للزوج. ولا تزيد شهادة العذرية أن تكون تقريرا عن حالة غشاء البكارة، فهي تشهد أن المسماة فلانة تمتلك الخصائص العيادية للعذرية، ومنها فإن غشاء مهبلها لم يسبق أن تعرض للاختراق من جسم في حجم القضيب وصلابته (جسوس نعمان ، 2011 ، صفحة 200).

وبناء على ذلك، فإن النشاط الجنسي النسائي بالمجتمع المغربي وبالأوساط الشبابية بالخصوص أصبح ينفصل عن هدف الزواج ليخضع لأهداف أخرى كإشباع الرغبة وتجسيد الحب واكتساب الخبرة والتجربة الجنسية ولا ننسى تأكيد الذات (Dialmy, 2000, p. 80). فتضارب إرادة الحفاظ على غشاء العذرية كواجب مجتمعي والرغبة في التمتع بالجنس كرغبة وحق إنساني يفود الشبابات إلى ممارسات جنسية بديلة (سطحية، فمية، شرجية... إلخ). وهذا ما بينه السوسيولوجي المغربي الديالمي في كتابه المنشور سنة 2000 تحت عنوان "الشباب، السيدا والإسلام بالمغرب"، حيث أوضح أنه بدءا من سنوات السبعينات من القرن العشرين، أصبحت الفتيات تتمتع بعذرية توافقية بدل عذرية قرآنية.

والمقصود بالعذرية القرآنية هو غياب كل تجربة جنسية قبل الزواج، بمعنى أنها عذرية كاملة ومطلقة تشمل الجسد والروح معا. لكن نظرا للتغيير الاجتماعي الذي شهده المغرب وخلف انفتاحا جنسيا، أصبح هذا النوع من العذرية شبه منعدم. وبالتالي انتقل المجتمع المغربي إلى عذرية توافقية والتي يقصد بها أن المجتمع المغربي بالرغم من طابعه المحافظ بدأ يسمح عمليا ببعض الممارسات الجنسية لصالح الإناث شريطة أن تحافظ على غشاء

¹ - أنظر:

جسوس نعمان سمية: بلا حشومة، الجنسية النسائية في المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2011.

بكرتها ولا تسمح بافتضاضه. وهذا ما يجعلها عذراء بالمفهوم الاجتماعي، أي محافظة على غشاء العذرية رغم أنها مفتضة في كل مناطقها المتعوية الأخرى (الديالمي، 2015، الصفحات 60-67-68). ويمكن النظر إلى هذا الأمر على أنه نفاق اجتماعي.

ثالثا- محاولة تفسيرية لتغير المعيارية الجنسية بالوسط الشبابي المغربي

هناك صلة وثيقة بين تغير الواقع الجنسي الشبابي وتغير النظام القيمي بالمجتمع المغربي، حيث إن تطور القيم الجنسية له تأثير على عملية اختيار توجه السلوك الجنسي في مرحلة الشباب. فإلى جانب القيم الجنسية التي كانت محددة تقليديا في المجتمع المغربي ومسؤولة عن تنظيم الفعل الجنسي قبل الزواج مثل "الحشمة، والعفة، والعيب، والعار، والطاعة، والامتثال، والشرف، والعذرية"، تولدت قيم جنسية جديدة مستحدثة وناشئة مثل "التحرر، والتفرد، والتمايز، والحوار، والديمقراطية، والمساواة، والاستقلالية، والاستهلاك"، والتي تقيد بها الشباب وجعل منها مقياسا لانخراطه في سيرورة التحديث والعصرنة. الأمر الذي جعل الجنسانية الشبابية قبل الزوجية في شقها السلوكي تنزع نحو الاستقلالية والتحرر.

فمن جهة أولى، تملك الشباب الجامعي المغربي انشغال كبير بالبعد المتعوي من جنسانيته قبل الزوجية، حيث أن الخصائص النمائية الجنسية المميزة لمرحلة الشباب والمتمثلة في اكتمال نمو الغدد الجنسية، إلى جانب الخصائص النفسية والاجتماعية المتجسدة في حب الاستطلاع والتجربة وتأكيد الذات والاستقلالية الذاتية تدفع الشباب إلى طرح سؤال المتعة الجنسية وتولد لديه رغبة ملحة في إشباعها بشكل إجرائي ولملموس. وانطلاقا من تحفظ مؤسسات التنشئة التربوية والاجتماعية (الأسرة، المدرسة، الإعلام السمعي البصري، المؤسسات الدينية) على مواكبة رغبة الشباب في الاستفسار عن البعد المتعوي من جنسانيته لأن في ذلك إخلال بالقيم الدينية والثقافية المحافظة، يلجأ الشباب إلى وسائط اجتماعية أخرى (جماعة الأقران والأصدقاء/ الشارع/ الانترنت) حيث تغيب الرقابة ويتلاشى خطاب الحظر والمنع، ويعوضه الاكتشاف والتكوين الجنسي الذاتي. ومن جهة ثانية، تعتبر المرحلة الجامعية عنصرا مؤسسا لدينامية الحياة الجنسية قبل الزوجية للشباب، حيث يترتب عن الانتقال إلى التعليم الجامعي التماهي مع نمط حياة جنسية جديد يتميز بتناقل الخبرات والتجارب الجنسية بين الشباب وتقاسم الوسائط المؤدية إليها، إضافة إلى توسع العلاقات بين الجنسين وتمدها وتنوعها (علاقات صداقة، زمالة، إعجاب، حب). وبذلك يتم السلوك الجنسي الشبابي في اتجاه غيري، حيث يأخذ شكل الممارسات الجنسية الكلية التي تعتمد على الإيلاج المهبلي الكامل، أو شكل الممارسات الجنسية غير الكلية، والتي تقوم على الجنس الشرجي والفموي والسطحي. كما أنه يتم كذلك في اتجاه ذاتي، ويأخذ بذلك شكل الاستمتاع الجنسي الذاتي عن طريق ممارسة العادة السرية ومشاهدة الأفلام البورنوغرافية واستخدام المجسمات الجنسية.

كما أن ممارسة الشباب الجامعي المغربي للجنس خارج إطار مؤسسة الزواج أضحت تتم بصيغ استهلاكية، منفعية وسلعية تتجلى في ممارسة الجنس بين الأصدقاء (ظاهرة friends with benefits)، أو امتهان العمالة الجنسية الرجالية (ظاهرة الميمات/ ظاهرة Daddy sugar).. وتتم هذه الممارسات الجنسية الشبابية الجديدة على سعي الشباب إلى تصريف ضغط بيولوجي فقط أي تحقيق القذف أو الرعشة دون الاهتمام بالأبعاد العاطفية والحسية للجنس. علاوة على ذلك، مكنت الوسائط الإعلامية الرقمية كذلك الشباب الجامعي المغربي من مجموعة من الممارسات الجنسية التخيلية الواقعية أو الافتراضية التي تدخل في إطار ما يمكن تسميته ب"الجنس الإلكتروني". وبذلك يستخدم الشباب وسطين رقميين، يتجلى الأول في شبكات التواصل الاجتماعي حيث يمارس الاستمتاع الجنسي الذاتي بغرف الدردشة الخاصة، أو يربط بواسطتها علاقات عاطفية افتراضية تتكامل بممارسات جنسية كلية أو سطحية على أرض الواقع. أما الوسط الرقمي الثاني الذي يستعمله الشباب لربط علاقات جنسية قبل زوجية، فيتمثل في التطبيقات الهاتفية المجانية التي تسوق لرغباته الجنسية افتراضيا ليتمكن من إشباعها واقعيًا. وبالتالي يأخذ السلوك الجنسي طابعًا رقميًا كما أن السلوك الرقمي يأخذ طابعًا جنسيًا.

غير أن أمام هذا التحرر السلوكيات الجنسية بالأوساط الشبابية، تنتصب إشكالية أخرى تتعلق بالبناء الذهني للجنس لدى الشباب المغربي حيث أن تماثلهم لازالت تنزع نحو المحافظة والتقليدية ولو بشكل غير واع. إذ أن الشباب الجامعي المغربي لا زال يثمن الجانب البيولوجي من قيمة العذرية والمتمثل أساسًا في غشاء البكارة، ويعتبره رأسمًا أخلاقيًا جماعيًا يخضع لضبط ثقافي ورقابة أبيسية. إضافة إلى أنه يعتبر أن المتعة الجنسية لا تتحقق إلا في إطار مؤسسة الزواج. وأي جنس خارج إطار الزواج ما هو إلا سرقة جنسية غرضها تصريف المكبوتات أو تعلم المهارات الجنسية وصلفها تهيئًا للزواج فيما بعد. وكل ممارسة جنسية قبل الزواج يقوم بها في الاتجاه الغيري إلا ويعتبرها "زنا".

وارتباطًا بهذه الإشكالية، تنتظم في نظرنا الجنسانية الشبابية قبل الزوجية حول ثلاث معايير أساسية، منها ما هو ديني ويتمثل في ثنائية الحلال والحرام، وما هو ثقافي ويتجسد في العذرية البيولوجية "البكارة"، وما هو اجتماعي ويتجلى في مؤسسة الزواج. وتشكل هذه المعايير الثلاثة نواة تماثلات الشباب للعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج. لذلك، فإن ابتعاد النظام الجنسي الشبابي عن المرجعية المعيارية المجتمعية للجنس خارج إطار الزواج يسفر عن عدم تطابق بين طبيعة تماثلات الشباب وشكل رغباته الجنسية. الأمر الذي يدفعه إلى خلق نظام سلوكي جنسي توليفي خاص يجمع بين التقيد بالقيم الجنسية الأخلاقية الرمزية التقليدية ومواكبة القيم الجنسية الاستهلاكية المادية الحديثة. وطبقًا لذلك، يستعمل الشباب صيغ الموامة التي تستدعي منه أشكالًا ممارساتية جنسية توليفية تتم عن امتناع جزئي عن ممارسة الجنس قبل الزواج دون أن يفقد نفوذه وسلطته على جنسانيته، كما أنها تدل على إقباله

الجزئي على ممارسة الجنس قبل الزواج دون أن يقوى معه على التغافل عن المعايير التي تنظم الجنس مجتمعا وثقافيا ودينيا. الأمر الذي يفضي تناقضا على الجنسانية الشبابية قبل الزوجية، ويولد بها مجموعة من الثنائيات على المستوى الذهني والسلوكي.

وتتجسد هذه الثنائيات أو التناقضات ذات الصلة بالواقع الجنسي الشبابي المغربي قبل الزواج في تزايد مراجعات وتساؤلات الشباب الجامعي اتجاه الأخلاقيات التقليدية وخاصة نقد ما تتضمنه من صور نمطية حول الجنس وتصنيفات جندرية لم يعد لها معنى أو تلائم بالواقع المعيش. كما أن هناك سعي كلي من طرف الشباب لإضفاء معاني جديدة للمؤسسات الاجتماعية- مؤسسة الزواج نموذجاً- وللعلاقة بالجسد- تملك الجسد نمونجا-. لكن هذا لم يعفي الشباب من صعوبة تخطي ضغط المعايير الدينية والثقافية والاجتماعية بالرغم من انحلال معانيها. وبالتالي، فإننا نعتبر أن وضعية الفردنة الجنسية التي يعيشها الشباب المغربي اليوم لم تخلصه بعد من سلطة الاجتماعي ونفوذه، على اعتبار أن هذا النفوذ هو في حالة مراجعة ومساءلة. وبذلك، تحمل الفردنة الجنسية الشبابية في المغرب معنى التبعاد عن المعيار المنظم وليس القطيعة معه.

ومن المؤكد أن هذه الثنائية لها أثر على البناء الهوياتي للشباب، حيث أن هذا البناء يسعى إلى تحقيق اعتراف بالذات لكن سرعان ما يصطدم بخطاب اجتماعي هو في حد ذاته مزدوج يجمع بين الاعتراف بتطور وتغير المجتمع باسم الفردانية، وضرورة مقاومة هذا التغير والتطور باسم المحافظة على الخصوصية الثقافية والاجتماعية والدينية. الأمر الذي يفضي إلى واقع جنسي شبابي مركب، سمته الرئيسية هي الصراع النفسي بين ضرورة الانصياع والرغبة في التمرد والتمايز الفردي.

على سبيل الختم

تعد المرحلة الجامعية عنصرا مؤسسا لدينامية الحياة الجنسية الشبابية بالمجتمع المغربي. فالانتقال إلى التعليم الجامعي يتزامن مع انفصال عن القيم المحلية التقليدية واستدماج لقيم أجنبية حضرية وافدة، تنعكس على تمثيلات الشباب للجنس خارج إطار الزواج، ومن ثم توجه سلوكياته الجنسية نحو الانفتاح والتحرر. إلا أن هذا التحرر السلوكي الجنسي يظل تحررا مشروطا، حيث من الملاحظ أن الشباب المغربي له نشاط جنسي قبل الزواج بالمرحلة الجامعية باسم الرغبة أو الحب أو المتعة أو تأكيد الذات أو التجربة والمغامرة. لكن بالرغم من إقباله العملي والسلوكي على الجنس خارج إطار الزواج في الاتجاهات السالفة الذكر، لازال مرتبطا بشكل لاإرادي بمجموعة من المعايير المنظمة للرغبة الجنسية في المجتمع المغربي، حتى وإن تجاوزت قناعاته مرجعياتها الدينية أو الثقافية.

وتبعاً لذلك، يعيش الشباب الجامعي المغربي مفارقات وتناقضات جنسية تظهر جلياً في عدم تمكنه بشكل قطعي من الإمساك الجنسي وإقباله على أشكال مختلفة من الجنس خارج إطار الزواج خاصة في المرحلة الجامعية. غير أن تحرره السلوكي الجنسي لا يواكبه تحرر على المستوى الذهني والتمثلي للجنس، لأن تحرر سلوكه الجنسي يكاد لا يصمد أمام مجموعة من القيم الدينية والثقافية السائدة والمعروفة في المجتمع المغربي، والتي تعد جزءاً لا يتجزأ من التنشئة الجنسية التي خضع لها سلفاً بمؤسسات عديدة للتنشئة. ويمكن القول بأن هناك سعياً ملحاً لدى الشباب نحو تحقيق الاستقلالية الحياتية وتملك الجسد على المستوى الجنسي وحرية التصرف فيه واستعماله إرادياً، لكنهم يرفضون ممارسة الجنس خارج إطار الزواج بشكل كلي بسبب اعتقادهم أن:

✓ الجسد هو ملك جماعي. لا يحق التصرف فيه جنسياً إلا بموافقة من الجماعة.

✓ البكارة هي رأس مال أخلاقي يخضع لضبط ثقافي ورقابة أبيسية.

✓ المتعة الجنسية ما هي إلا متعة جنسية زوجية فقط، وأي جنس خارج إطار الزواج ما هو إلا سرقة جنسية غرضها تصريف المكبوتات أو تعلم المهارات الجنسية وصلها تهيئاً للزواج فيما بعد.

وبناء على ما يعيشه الشباب الجامعي المغربي من تناقضات ومفارقات على المستوى الجنسي، فإن جنسانيته تشهد انتقالاً مكنها من تجاوز مرحلة تقليدية، حيث هناك تطابق بين دينية المعيار الجنسي والبعد الديني للسلوك الجنسي، بمعنى أن السلوكات الجنسية معظمها سلوكات شرعية لا تتم إلا في إطار الزواج، والتوجه نحو مرحلة أخرى تتكاثر فيها السلوكات الجنسية خارج إطار الزواج على المستوى العملي في ظل استمرارية الطابع الديني للمعايير الجنسية على المستوى الذهني. وعليه، فقد أصبح المجتمع المغربي يشهد علمانية سلوكية للجنس دون أن يحقق بعد علمانية المعايير المنظمة للنشاط الجنسي.

ببليوغرافيا

• باللغة العربية

1- أعراب، عبد الهادي. قراءة في مؤلف بيبير بورديو: الهيمنة الذكورية.

<https://www.mominoun.com/articles/> (أبريل، 2015)

2- الإدريسي، محمد. التحولات الجنسانية في المغرب المعاصر: النساء نموذجاً.

<https://www.mominoun.com/articles/> (2017)

- 3- الإدريسي، محمد. " تصورات المراهقين للحياة الجنسية: ملاحظات حول التنمية الجنسية المغربية المعاصرة". *مجلة إضافات*: (26-27) (ربيع- صيف، 2014): 224- 233.
- 4- الأصمعي، محمد. سليم، محروس. *الإصلاح التربوي والشراكة المجتمعية المعاصرة، من المفاهيم إلى التطبيق*. دار الفجر للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. (2005)
- 5- الخمار، العلمي. *المجتمع وتحول القيم: حوارات حول تحولات وأحداث المغرب المعاصر*. مقاربات للنشر والصناعات الثقافية . المغرب. (2018).
- 6- الديالمي، عبد الصمد. *الانتقال الجنسي في المغرب: نحو الحق في الجنس، في النسب وفي الإجهاض*. ط 1. دار الأمان . المغرب. (2015)
- 7- الديالمي، عبد الصمد. *الجنسانية قبل الزوجية: من الزنا إلى الفساد إلى الحرية الفردية*. <https://www.mominoun.com/articles> (يوليوز، 2019).
- 8- الساعاتي، سامية . *الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي*. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. (1981)
- 9- العطري، عبد الرحيم. *احتمالات التحول القيمي: صيغ التفاوض والترمييق (البريكولاج)*. <https://www.mominoun.com/articles/> (2015)
- 10 - المالكي، عبد الرحمان. *الثقافة والمجال: دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب*. ط 1. منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهرارز . فاس . المغرب. (2015)
- 11- المرنيسي، فاطمة. *ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية* (ترجمة فاطمة الزهراء ازرويل). المركز الثقافي العربي . المغرب. (2005)
- 12- الهروي، الهادي. *الاسرة، المرأة والقيم: تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة*. إفريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. (2013)
- 13- بارني، دارن. *المجتمع الشبكي*. (ترجمة أنور الجمعاوي). المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات. لبنان. (2015).

- 14- بنيتو كارمونا، سارة. *البغاء في شوارع الدار البيضاء* (ترجمة عبد الصمد الديالمي). ط 1. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. (2008)
- 15- بورديو، بيبير. *الهيمنة الذكورية*. طبعة 1. المنظمة العربية للترجمة. (2009)
- 16- جسوس نعمان، سمية. *بلا حشومة: الجنسانية النسائية في المغرب* (ترجمة عبد الرحيم خزل). ط 2. المركز الثقافي العربي. (2011)
- 17- حجازي، عزت. *الشباب العربي ومشكلاته*. عالم المعرفة. الكويت. (1990)
- 18- حسن منير، نورهان. *القيم الاجتماعية والشباب*. دار المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية. مصر. (2008)
- 19- حسين محمد، مها. *العذرية والثقافة: دراسة في أنثربولوجيا الجسد*. ط 1. دال للنشر والتوزيع. مصر. (2010)
- 20- حمداوي، إبراهيم. *التغير الاجتماعي وظاهرة الجريمة في المغرب*. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة شعيب الدكالي. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 19. الجديدة. المغرب. (بدون تاريخ)
- 21- زايد، محمد، اعتماد، محمد علام. *التغير الاجتماعي*. ط 2. الأنجلو المصرية. مصر. (2000)
- 22- عبد الحميد محمد، أمال. "القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف". في *امرأة والمجتمع: وجهة نظر علم الاجتماع* (تأليف علياء شكري وآخرون). دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. مصر. (1998)
- 23- ماسي، إريك. *مابعد المجتمعات الذكورية: محاولة لإرساء نظرية في النوع* (ترجمة كنزة القاسمي). مكتبة باب أنفا. المغرب. (2018).

• باللغة الفرنسية

Bowlby, John. *Le lien, la psychanalyse et l'art d'être parent*. Paris: Albin Michel, 2011.

Benslama, F. Tazi, N. *La virilité en Islam*. édition de L'aube .France, 2004.



International Journal of Interdisciplinary Gender Studies

Vol 1. Issue1. 2021 – Legal Deposit: 2021PE0016

Online ISSN: 2737-8373 – Print ISSN: 2737-8381

Bourdieu, P. La domination masculine. seuil .Paris.France. 1998.

Bourquia, R. Elharras, M. Bensaid, D. Jeunesse estudiantine marocaine: valeurs et stratégies. faculté des lettres et sciences humaines. Rabat. Maroc. (1995)

Dialmy, Abdessamad. "Jeunesse, sida et Islam au Maroc: les comportements sexuels des Marocains." (2000).

Elayadi,M. La femme dans le debat intellectuel au Maroc .In Prologues (2002):30(3).